

سورة الملك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (12)

شرح الكلمات:

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} يخافونه {بِالْغَيْبِ} في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرًا فيكون علانية أولى {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} أي الجنة

المعنى الإجمالي :

ذكر الله تعالى حالة السعداء الأبرار فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعدّه لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات المتواصلات، والمستهيئات، والقصور والمنازل العاليات، والخور الحسان، والخدم والولدان.

وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان.

وإن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة. فنحن بأمر الحاجة لمداواة هذا الموضوع ومراجعته وتدبر النصوص الواردة فيه تعظيماً لما عظمه الله تعالى في هذه العبادة القلبية، فالفن

تخطيط بنا من كل جانب خصوصاً ذنوب الخلوات التي زينها شياطين الإنس والجن.. والعلاج الأساس في مواجهة هذه الذنوب إقامة عبادة خشية الله تعالى بالغيب فتمنعه بإذن الله من تعاطي المحرمات بالنظر أو السماع أو اللسان أو الطعام أو المشي.. الخ.

واعلم أن الله تعالى يتلي عبده فتدّوناً منه المعصية، ويسهل عليه اقترافها حال يُغدير أنظار الناس عنه؛ ابتلاءً له من الله تعالى؛ هل عبده يخشى الله تعالى بالغيب أو لا يحشاه إلا بحضور الناس فقط؟.

فانتبه لذلك دائماً حينما تكون خالياً، واجعل نصب عينيك قول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بَشِيرٌ مِنَ الصِّدِّقِينَ أَنِّي بَلِّغُكُمْ أَوْ أَمْلَأُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (المائدة 94).

ومن الأعمال التي لا يراها الناس أعمال القلوب فاحذر معصية الله بقلبك وأعظمها الشرك فلا يتعلّق قلبك ولا يخشى ولا يرجو إلا الله تعالى وحده. ومن معاصي القلب: الكبر، والإعجاب بالنفس، والحسد، والغرور، والرياء، وحب السمعة والظهور. ومن علامات مرض القلب بالشهوات: الطمع بغير ما أحل الله تعالى، قال الله تعالى: "فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ" (الأحزاب 32). فدلّ على أن الطمع بغير ما أحلّ الله علامة على مرض القلب، فاحذر كلّ الحذر من هذه العلامة الدالة على مرض القلب، ولا رادع لها إلا خشية الله بالغيب.

وسبب خوف بعض الناس من غير الله هو الشيطان الذي يوسوس لهم ويخوفهم من أوليائه الظلمة. فاحذر الحذر من ذلك وإنما الواجب أن يُخلص عبادة الخوف لله وحده. قال الله تعالى: "إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ" (آل عمران 175).

وكل مؤمن بالله مستقر في قلبه خشية الله في الأصل ولا يمكن خلو قلبه من ذلك ولكن أهل الإيمان يتفاوتون في درجات الخوف وهم على أقسام ثلاثة:

1- كامل الخوف وهو من حمله الخوف على فعل الفرائض والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات واجتنب الشبهات.

2- مقتصد الخوف وهو من حمله على المحافظة على فعل الفرائض وترك المحرمات ولم يجتنب الشبهات والمكروهات.

3- ناقص الخوف وهو من قصر في فعل الفرائض وارتكب المحرمات وأسرف في الموبقات.

ولخشية الله أسباب توجبها:

1- ذكر الله قال تعالى.

2- التفكير في شدة غضب الجبار وقوة انتقامه.

3- التفكير في الملكين الذين وكلهما الله بكتابة السيئات والحسنات.

4- التفكير في الموت وسكراته وشدة أحواله.

5- التفكير في أهوال الموقف وشدة الحساب يوم القيامة.

6- لتدبر في ندم أهل الإيمان يوم القيامة في تفریطهم في الغفلة وارتكاب الذنوب في الدنيا ومصاحبة الباطلين.

7- التفكير في خطر الجوارح يوم القيامة حيث تشهد على صاحبها في ارتكاب المعاصي وتفضحته على رؤوس الأشهاد.

8- لتفكر في خطر سوء الخاتمة.

ثمة موانع لسكون الخشية في القلب:

1- حب الدنيا فإن تعلق القلب بالدنيا وافتتانه بجمعها يطرد الخوف منه.

2- طول الأمل فإن العبد إذا أحب الخلود في الدنيا لم يخش هول الآخرة وأمن الحساب.

3- الغفلة وكثرة الذنوب فإن القلب إذا حجب بالظلمات رحل عنه الخوف.

4- صحبة الفجار الذين يأمنونه من مكر الله.

5- تضييع الفرائض والإعراض عن ذكر الله حتى يقسو القلب.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



فوائدها من تفسير سورة المائدة الآية 12

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

9- ينبغي على العبد أن لا يقتصر في عبادته لربه على مقام الخوف لأن ذلك يوجب له اليأس والقنوط وسوء الظن بالرب وهذا هو مسلك الخوارج وقد ذم السلف ذلك بل عليه أن يقرن الخوف بالرجاء ويوازن بينهما ويغلب أحدهما على الآخر إذا اقتضى الحال فإذا كان في حال الصحة وزينت له المعصية غلب الخوف وإذا كان في حال الضعف والخوف غلب الرجاء كما هو مقرر في النصوص وكلام السلف.

10- المؤمنون يخافون الله في الدنيا ويخشون عذابه كما قال تعالى: (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السُّمُومِ) ..

11- وخشية الله توقد قلب المؤمن وتجعله حذرا من الوقوع في الغفلة والوقوع في الشهوات وتجعل نفسه لومة على التقصير وتحمله على شدة محاسبة النفس.

12- الخشية خلق لا يتصف بها إلا عباد الله المتقين وأوليائه الحسنين.

13- ثمار الخشية من الله :

1- الهداية والصلاح.

2- الفوز والفلاح.

3- المغفرة والأجر الكبير.

4- الفرج والنجاة.

5- دخول الجنة والنجاة من النار.

6- الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

7- الخوف من الله يبعد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والسيئات.

8- يحمل الإنسان المسلم على التخلق بالأخلاق الحسنة، وتجنب الكبر والعجب.

9- يجعل الإنسان يخلص عمله لله - تعالى - وألا يضيعه بالترك أو المعصية.

والله اعلم .. صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- فضيلة الإيمان بالغيب ومراقبة الله تعالى في السر والعلن.

2- وإذا أردت تحقيق هذه العبودية فلتكن حالك في الخلوة أفضل عند الله من حال مشاهدة الناس، ولا تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك.

3- ما أعظم مقام عبودية قلب المؤمن لله وحده وقد طهره الله من الشرك، ومن التعلق بالدنيا، ومن أمراض الشهوات والشهوات.

4- من أنواع الانحراف في الخشية التي حذرنا الله تعالى منها هي تقديم خشية الناس على خشية الله؛ أو أن يخشى الناس كما يخشى الله، فيسكت عن الحق ، أو يتكلم بالباطل خشية الناس، أو خوفاً من ردة فعل السلطان، أو ضغط أهل الباطل في وسائل الإعلام.. فيسكت عن بيان الحق أو يسكت عن النهي عن الباطل.

5- خشية الله تعالى من أجل أعمال القلوب التي تقوم عليها العبادة وتكف المؤمن عن ركوب المعاصي واستباحة الحرمات والاستهانة بشرع الله وشعائره. وقد أثنى الله على عباده تخلصهم بالخشية فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ).

6- خشية الله تعني انزعاج قلب المؤمن ووجله وخوفه وهربه من سخط الله وغضبه وعقوبته ووعيده في الآخرة.

7- أهل الخشية والإنابة لله هم من عمر وقته بالطاعات وبالغ في اجتناب الحرمات وخشي من الوقوع في الآثام فبالغ في ترك الشهوات والمكروهات وفضول المباحات خشية الانجرار إلى المحظورات واتباع الخطوات.

8- الخشية المحمودة شرعا هي الشعور بالتقصير والاعتراف بالذنوب والندم الموجب للكف عن ركوب الحرمات وتغيير الحال إلى الأحسن والمبادرة بالتوبة وعمل الصالحات لتكفير السيئات.